# المادة الدراسية: الادب الاموي

# المستوى الدراسي الثاني

# عنوان المحاضرة : الادب في العصر الاموي(نظرة تاريخية)


# أ.د. محمد عبيد صالح


**الأدب في العصر الأموي(نظرة تاريخية)**

أدى قيام الدولة الإسلامية إلى ظهور أدب إسلامي بعيد كل البعد عن الادب الجاهلي بمفاهيمه وموضوعاته، بيد أن قصر حقبة عصر صدر الإسلام (١هـ، ٤٠هـ) وانشغال الناس بتعاليم الدين الجديد لم يتح لهذا الأدب أن يمد جذوره وأن تتضح سماته الجديدة، فلما كان العصر الأموي أتيح لهذا الأدب الجديد أن يزدهر وأن تتضح سماته واتجاهاته، وساعد على هذا التطور عوامل كثيرة سياسية واجتماعية ودينية.

وعلنا نقف على أبرز المؤثرات في الحياة الأدبية آنذاك والتي كان ابرزها المؤثرات السياسية. فقد نقل الأمويون حاضرة ملكهم إلى بيئة جديدة تغاير بيئة الحجاز هي الشام. وأسسوا ملكاً وراثياً يتداول فيه بنو أمية الحكم من دون سواهم ويقمعون كل معارضة تنزع إلى سلبهم ملكهم، وكان لجل خلفاء بني أمية مقدرة سياسية تجعلهم مهيئين لتولي مقاليد الحكم. وقد قوبل نزوع بني أمية إلى الاستئثار بالأمر بمعارضة عنيفة من طوائف من رعيتهم، منهم الخوارج الذين كانوا يريدون الخلافة شورية لا تكون وقفاً على قريش وحدها بل يتولاها كل من تتوافر فيه المؤهلات المطلوبة ولو كان عبداً

حبشياً. ومنهم الشيعة الذين كانوا يرون ان آل البيت أحق بتولي الأمر من جميع بطون قريش ومن جميع المسلمين ويجعلون الإمامة أمراً إلهياً، فالله اختار نبيه(صلى الله عليه وسلم) والنبي اختار وصيه علياً( رضي الله عنه)، وكل إمام يوصي لمن يليه. وقد قام كل من الخوارج والشيعة بثورات متصلة طوال العصر الأموي. ومن هذه الطوائف كذلك جماعة عبد الله بن الزبير الذي كان يرى أنه أحق بالخلافة من يزيد بن معاوية، وقام بينه وبين بني أمية نزاع دموي استمر عشر سنوات وانتهى بمقتله والقضاء على أصحابه سنة ٧٣هـ. ومن هذه الطوائف من ثار على بني أمية لعدم رضاهم عن سياسة أميرهم، فثار عبد الرحمن ابن الأشعث على الحجاج ثورة كادت تزلزل أركان الحكم الأموي ولكنه أخفق في تحقيق النصر وانتهى الأمر بموته ، وثار يزيد بن المهلب على يزيد بن عبد الملك وانتهى أمره بمقتله.

ومن أهم ثورات الخوارج التي تمخض عنها عصر بني أمية ثورات الأزارقة الذين كانوا أشد الخوارج تطرفاً وتشدداً، وقد قتل زعيمهم نافع ابن الأزرق في موقعة دولاب مع أهل البصرة. وتوالت ثوراتهم بعد ذلك واستطاع القائد المحنك المهلب ابن أبي صفرة أن يبعد خطرهم ويصد حملاتهم وأن يقضي عليهم آخر الأمر. وفي الوقت ذاته كان الخوارج الصفرية يشنون حملات عنيفة على مدينة الكوفة يقودهم الخارجي شبيب بن يزيد. وقد استطاع هذا الخارجي أن يهزم جيوشاً كثيرة أرسلها إليه الحجاج. بل لقد استطاع دخول الكوفة ومعه زوجه غزالة الحرورية، واضطر الحجاج أن يستنجد بعبد الملك الذي وجه لنجدته جيشاً من أهل الشام، وأخيراً هلك شبيب وزوجه وأخوه في موقعة على مشارف الكوفة. وفي أواخر العصر الأموي قام الخارجي الضحاك بن قيس الشيباني بحملة على الكوفة في جمع غفير من الخوارج

واستطاع الاستيلاء عليها ولكنه هزم بعدئذ في موقعة مع جيش وجهه إليه مروان بن محمد وانتهى الأمر بمصرعه. ولم تكد ثورته تنطفئ حتى انطلق الخوارج الإباضية من بلاد اليمن إلى الحجاز واستطاع قائدهم أبو حمزة الخارجي أن يستولي على مكة والمدينة ولكنه لم يستطع أن يصد الجيش الذي وجهه إليه مروان بن محمد من الشام فقتل في موقعة بوادي القرى.

وعلى الرغم من إخفاق ثورات الخوارج فإن ثوراتهم المتصلة كانت من أقوى الأسباب في إضعاف الحكم الأموي وجعله عاجزاً عن الوقوف في وجه أنصار الدعوة العباسية.

ويتصل بالمؤثرات السياسية حركة الفتح الإسلامي التي بلغت ذروتها في ذلك العصر، وقد استطاع الفاتحون المسلمون أن يمدوا حدود الدولة الإسلامية في حقبة قصيرة إلى أقصى المغرب وإلى بلاد الأندلس ومشارف بلاد الروم، وامتدت فتوحاتهم شرقاً إلى بلاد فارس وسجستان وخراسان وما وراء النهر وبلاد السند، فكان الفتح الإسلامي أسرع فتح عرفه التاريخ، وكان العرب الفاتحون حين يبسطون سلطانهم السياسي ينشرون معه عقيدتهم ولغتهم وأدبهم، كما كانوا يتأثرون بحضارة الأمم التي بسطوا سلطانهم عليها وبأدبها وعاداتها الاجتماعية. وقد أدت الفتوح إلى امتلاء أيدي الفاتحين بالفيء والأموال وأدى هذا إلى اختلاف نمط حياتهم اختلافاً بيناً عما كانت عليه يوم كانوا يعيشون حياة التقشف والضيق في جزيرتهم.

وكذلك وجد للأدب العربي في عصر بني أمية بيئات جديدة غير بيئة الجزيرة العربية، مهده الأول، فتلون الأدب بألوان هذه البيئات وتأثر بها، فكان لبيئات الشام والعراق وخراسان ومصر والمغرب والأندلس أثرها القوي في الحياة الاجتماعية والفكرية والأدبية.

ومن المؤثرات الاجتماعية في الحياة الأدبية كذلك ظهور طبقة الموالي التي كانت في تكاثر مستمر سواء من طريق الفتوح أو الشراء، وكان لا مفر من أن يكون لوجودها أثر واضح في المجتمع العربي كما كان لها أثر في الحياة الأدبية. فقد حذقت طوائف من الموالي اللغة العربية لنشأتهم بين ظهراني مواليهم العرب، ووقفوا على التراث الأدبي وما لبثوا أن شاركوا في الحياة الأدبية فظهر منهم الكتاب والشعراء. على أن بني أمية كانوا يقمعون أية محاولة يقوم بها الموالي لإبراز هويتهم القومية أو لرفع أصواتهم بنائرة العصبية المعادية للجنس العربي، فظلت الكلمة الأولى للعرب طوال ذلك العصر، على نقيض ما حدث في العصر العباسي.

ولئن أفلح بنو أمية في قمع العصبية القومية فإنهم لم يفلحوا في إخماد جذوة العصبية القبلية التي استعرت في ذلك العصر وبرزت على نحو أعنف وأبعد أثراً مما كانت عليه في العصر الجاهلي، وكان استعارها بفعل عوامل شتى اجتماعية وسياسية واقتصادية. وقد ظهرت في ذلك العصر التكتلات القبلية الواسعة فاحتدم الصراع بين العدنانية والقحطانية، كما نشب الصراع في إطار كل من هاتين الكتلتين. وقد تركت هذه الفتن القبلية صداها القوي في الحياة الأدبية، وفي الشعر خاصة، فنشط فن المناقضات وكثرت المفاخرات القبلية. ووقف الشعراء والخطباء وراء احتدام هذه العصبيات فكان الشعراء يلتقون في المربد والمحافل فيتفاخرون ويتهاجون والناس حلق حولهم وكل فئة تتعصب لشاعرها فتزداد نار العصبية بذلك اتقاداً.

وثمة عامل آخر كان له أقوى الأثر في الحياة الأدبية هو البلاط الأموي، وموقفه من الشعراء والخطباء. وكذلك موقف ولاة بني أمية منهم. فقد دأب خلفاء بني أمية وولاتهم على إكرام الشعراء الذين ينتجعونهم فأغدقوا عليهم

الأمـوال بسـخاء، فـلا غـرو أن يتجـه الشـعراء إلـى فـن المـديح ويجعلـوه فـنهم الأول، وأن يتـزاحم فحـول الشـعراء علـى أبـواب الخلفـاء والـولاة يمـدحونهم ويبـالغون فـي إطـرائهم ليظفـروا بالعطايـا والصـلات، فـإذا بفـن المـديح – الـذي كـان الجـاهليون ينظـرون إليـه علـى أنـه فـن يـزري بقائلـه – يغـدو الفـن الأول فـي الشـعر العربـي، وإذا بالشـعراء المـداحين يتنافسـون فـي التقـرب إلـى أولـي الأمـر ليحظـوا بالمـال والشـهرة فيخـرج الشـعر بـذلك عـن مسـاره الحـق ويسـلك مسـاراً آخر يبعد عن الصدق والأصالة.

وفـي الميـدان الفكـري تظهـر مـؤثرات تتجـه بـالفكر العربـي وجهـات لا عهـد لـه بهـا وتثيـر قضـايا لـم تخطـر لـه مـن قبـل، فيثـور الجـدل بـين المسـلمين فـي شـؤون عقديـة كالقضـاء والقـدر وحريـة الإرادة والثـواب والعقـاب والكبـائر ونحوهـا وتظهـر الفـرق الكلاميـة كالقدريـة والمعتزلـة والجهميـة والمرجئـة وغيرهـا ويشـغل المسـلمون بالجـدل فـي هـذه الأمـور ويتلـون الأدب الأمـوي مـن جـراء ذلـك بـألوان فكرية تخصبه وتوسع آفاقه.

المصادر والمراجع:


- الأمـالي فـي الادب الاسـلامي. د. ابتسـام مرهـون الصـفار، المؤسسـة اللبنانية للكتاب الاكاديمي بيروت– لبنان، ط١، ٢٠١٤.
- تـاريخ الأدب العربـي العصـر الاسـلامي، د. شـوقي ضـيف، دار المعارف، مصر ،ط١١.